منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الثاني، العدد الثاني، 2021م
http://www.nilevalley.edu.sd

التداولية و أبعادها في المعاجم العربية
كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وكتاب جمهرة اللغة لابن دريد أنموذجاً

زاهر بن مرهون بن خصيف الداودي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس

المؤلف: ت: 0096899229571، 0096824142026، البريد الالكتروني: aldawoodizaher@hotmail.com

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة المعاجم العربية دراسة تداولية، ذلك أن التداولية قد عرفت على أنها علم استعمال اللغة، فهي نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التداولي؛ لبيان صدق فرضيات البحث، وقد خرجت الدراسة بمجموعة نتائج أهمها أن البعد التداولي في المعاجم يتركز في الجانب الاستعمالي للألفاظ والمداخل بما يتفق مع العصر الذي يحيا فيه المتكلم، كما يتمثل في الجوانب السياقية، والتطور اللغوي.

كلمات مفتاحية: كتاب العين وكتاب الجمهرة، التداولية، الاستعمال.

Pragmatism and its Dimensions in Arabic Dictionaries, The Books of Al-Ain by Khalil Bin Ahmad Al-Farahidi, and The Jamhirat allughat by Ibn Duraid as a model

Zahir Bin Merhoon Bin Khaseif Eldawoody

Dept. of Arabic Language, Faculty of Arts and Social Sciences, Sultan Gabous University
Author: Tel.: 0096824142026 ،0096899229571, E. Mail: aldawoodizaher@hotmail.com

Abstract

This study aims to study Arabic dictionaries as a deliberative study, for deliberativeness has been defined as the science of using language, as it is a general inferential cognitive system that deals with the files within their verbal contexts, and discourses within their communicative states. The study relied on the comparative deliberative approach to demonstrate the validity of the research hypotheses. The study came out with a set of results. The most important of which is that the deliberative dimension in the dictionaries is concentrated in the use aspect of words and entries in line with the age in which the speaker lives, as well as in the contextual aspects and linguistic development.

Keywords: albrajmatiat, lexicon aleayn, jamhrat allugha

مقدمة

تهتم التداوليات بكل أشكال التفاعل الاجتماعي، والتفاعل الخطابي ودراسة المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، فهي تهتم بالعملية التواصلية في كل أبعادها النفسية والاجتماعية والإيديولوجية، وقد اتخذت التداوليات مؤخراً منحى معرفيًا مع أعمال سبيربر وويلسن، فنعتت بالتداوليات المعرفية، وهي تنطلق من تصور فودور حول آليات معالجة الذهن للمعلومات اللسانية في قوالب معرفية منفصلة (روبول و موشلر، 2003: ص75)، وقد أقرت العلوم المعرفية إطارًا نظريًا لاحتواء مجموعة من القضايا الكلاسيكية في التداوليات، ذلك أن مسارات التأويل والاستنتاج تقترن بصياغة معنى ملفوظات ترتبط بالحالة الذهنية للمتلكم والمستمع، وبناء على ذلك فقد توجهت هذه الدراسة إلى فحص العلاقة القائمة بين التداولية والمعجم، ذلك أن الملفوظ في حد ذاته ليس له أي معنى، وإنما يكتسب معناه بالقياس إلى مخاطب مؤهل، فالمعنى ليس معطى، وإنما هو دالة لها دليلان: دال لساني، وكفايات المخاطب؛ فالمخاطب لا يبني كلامه في عزلة تامة عن العالم من حوله وعن مخاطبه، وإنما يعمد إلى الفرضيات الاجتماعية، والملكات اللغوية.

مشكلة الدراسة

يرى كثير من الدارسين والباحثين أن المعاجم ماهي إلا كتاب يضم بين دفتيه ألفاظ اللغة، مقرونة بشرحها وبيان معانيها، وهذا تعريف لا اختلاف عليه، إلا أنهم بهذا التعريف أبعدوا الجانب الاستعمالي أو التداولي عن المعاجم العربية، وما ذاك الابتعاد إلا لأنهم ما درسوا المعاجم دراسة كافية شافية، في متنها، ومداخلها وموادها، فالمعاجم لم يعد يرجع إليها إلا لبيان معاني بعض الكلمات التي أشكلت على القارئ، دون أن يركزوا للجانب التداولي في المعجم الذي يستخدمونه، وقد وضعت الدراسة مجموعة من الأسئلة بناء على ذلك، وهي: أين تمثلت التداولية في المعاجم العربية؟ وما هي أبعادها؟

لذلك فقد هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، وبيان مدى تمثل المعاجم العربية للتداولية، وأين تركزت هذه التداولية، مع علمنا أن التداولية تداوليات كما يعرفونها، إلا أننا ركزنا في مقدمة الدراسة على تعريف التداولية لبيان ما هي التداولية التي تمثلت في المعاجم العربية.

وللإجابة عن هذا السؤال رأت الدراسة أن تركز على معجمين مهمين يعدان من أمهات المعاجم العربية؛ وذلك لنعكس صدق التواصل الفعلي فيها، وأن الأسيقة الاجتماعية أعراف معلومة، تحظى باهتمام خاص؛ فالاستعمال هو الذي يحدد المعنى، فكلما كانت هناك ملفوظات كان للعلامات مقامات مخصوصة؛ فالمعجم يدعم إستراتيجيات استعمال العبارات والجمل، وهي مداخل هذا المعجم وموادّه.

وقد ركزت الدراسة على هذين المعجمين (العين والجمهرة)، للجدل القائم بينهما، في أن كتاب الجمهرة هو كتاب العين، ويقينا منا أن المنهج التداولي، سيبين لنا إذا كان كتاب الجمهرة هو كتاب العين، كما يدعي كثير من الباحثين، أم أنه كتاب آخر، وهل استطاع الكتابان أن يتفقا مع كفايات المخاطب في زمانهما، وكيف تمثلت هذه الكفاية عندهما؟

ولا أزعم أن هذه الدراسة هي الأولى لكتاب العين وكتاب الجمهرة، فقد درسا قبل ذلك، ولعل أهم هذه الدراسات:

1- كتاب جمهرة اللغة لابن دريد وأسس النص المعجمي، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها جامعة السلطان قابوس، أعدها زاهر بن مرهون الداودي، عام 2001م، وقد طبعت في دار جرير بعنوان أسس النص

المعجمي في كتاب جمهرة اللغة لابن دريد، وقد سعت هذه الدراسة إلى تتبع الأسس المعجمية (أسس الجمع وأسس الوضع) في كتاب جمهرة اللغة لابن دريد.

2- العقلية اللغوية لابن دريد الأزدي، كتاب جمهرة اللغة لابن دريد وهو بحث أعده زاهر بن مرهون الداودي، عام 2019م منشور في مجلة الدراسات اللغوية والأدبية بجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا، وقد ناقش البحث المادة المعجمية والطريقة التي ابتدعها ابن دريد في ترتيب مواده، خاصة المواد المعربة.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بأنها تتبع البعد التداولي في معجمين مهمين من معاجم اللغة العربية، وهما كتاب العين وكتاب الجمهرة، وهو علم يدرس مختلف المحددات التي تتعلق بالتداول اللغوي، أهمها السياق والمقام، وهما شرطان أساسان في التواصل وإنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة.

وقد قسمت الدراسة إلى أربعة مباحث: خصص المبحث الأول بتعريف التداولية، أما المبحث الثاني فقد خصص لكتاب العين وكتاب الجمهرة والجدل القائم بينهما، أما المبحث الثالث فقد خصص للتداولية والكيان الاجتماعي في المعاجم، أما المبحث الرابع فقد خصص للسياق والدرس التداولي في المعاجم العربية.

التداولية مفهومها و أبعادها

التداولية قاعدة اللسانيات كما يرى رودولف كارناب، فهي قادرة على حل الكثير من القضايا اللغوية التي عجزت عن حلها المناهج السابقة (الشهري، 2004: ص23)، في حين عدها تشارلز موريس جزءا من السيميائية، فقد ميز بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة، وهي: العلم الذي يعنى بدراسة العلاقات بين الكلمات، وقد عرف بعلم التركيب، والعلم الذي يهتم بالمعنى الحقيقي للملفوظات، ويعرف بعلم الدلالة، والعلاقات بين العلامات ومستخدميها، ويعرف بالتداولية (رويول و موشلر، 2003: ص29). في حين يرى أصحاب فلسفة اللغة العادية ورائدها لودفيغ فيتغنشتاين [1]ضرورة الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في اللغات العادية[2]، فالمعنى ليس ثابتا ولا محددا (صحراوي، 2005: ص23).

وقد اعتمد علم الدلالة بفضل تصورات فريج على افتراضين أساسيين، هما:

1- يجب أن يدرك معنى الكلمة من معاني الجمل؛ ذلك أن معنى أي جملة مرتبط بمعاني الكلمات التي تكونها.

2- معرفة الشروط اللازمة التي يجب أن تكون في الجملة.

كما أن تأويل الملفوظات يعتمد على عاملين، هما: معنى الملفوظ، والسياق المقامي لإنتاجه؛ فالجمل في اللغات الطبيعية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات (عبد الرحمن، 1994: ص11)، فلا وجود لملفوظ لا ينجز فعلا.

ومع أن الملكة اللسانية عند تشومسكي تتعلق بالعناصر والبنى اللغوية، إلا أنها كما يرى هايمس وصفت اللغة بمعزل عن حالات استعمالها في الواقع الاجتماعي، بحسب مقاصد الأفراد وحاجاتهم في أحوال التخاطب اليومية المختلفة؛ لذا فإن

[1] عند فنغشتاين اللغة لعبة وأداة؛ فتتعدد معاني الكلمات بتعدد استخداماتها في اللغة العادية، وفي السياقات اللغوية التي ترد فيها، فاللغة مرنة بعيدة عن الجمود لها القدرة على مواكبة هذا التنوع من الأغراض.

[2] تعالج فلسفة اللغة العادية الحقائق المفهومية، في حين تعالج اللسانيات الوقائع التجريبية.

الملكة التبليغية تتضمن إضافة إلى العناصر والبنى اللسانية التي تمكن الفرد من التعبير السليم، قواعدها الاجتماعية ومعرفة سياقاتها وطرائق استعمالها بحسب مقتضيات أحوالها (إبرير، 2005: ص71).

والكفاءة التبليغية كما يراها سيمون ديك ليست نسقا بسيطا، بل هي نسق مركب من كفاءات صغرى، هي (المتوكل، 1995: ص19-36):

1- الملكة اللغوية: القدرة اللغوية هي المعرفة الذاتية التي من المفترض أن يمتلكها مستعملو اللغة بخصوص نسقها، التي تسمح لهم ببناء، وتأويل عدد لا متناه من الجمل السليمة نحويا، والجمل التي لها معنى (وايلز، 2014: ص141).
2- الملكة المنطقية: القدرة على اشتقاق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي.
3- الملكة المعرفية: القدرة على تكوين رصيد من المعارف المنظمة، ويستطيع أن يختزن هذه المعارف بالشكل المطلوب، وأن يستدعيها عند الحاجة لاستعمالها في تأويل الخطابات.
4- الملكة الإدراكية: القدرة على إدراك المحيط، واشتقاق معارف من هذا الإدراك، واستعمال تلك المعارف في تأويل الخطابات وإنتاجها.
5- الملكة الاجتماعية: القدرة على إدراك العناصر السوسيو نفسية التي تصاحب إنتاج الخطاب وتأويله.

تمثل التداولية حلقة وصل مهمة بين حقول معرفية عديدة، منها الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي، ويمثله نظرية الملاءمة، ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات وعلوم اللغة. ويقر معظم دارسي التداولية أن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وبذلك تعرف التداولية على أنها علم استعمال اللغة، فهي نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية (صحراوي، 2014: ص32)؛ فإذا كان التركيب يهتم بدراسة العلاقات بين العلامات، كلمات أو جملاً أو متتاليات جملية؛ لتحديد القواعد التي تحكم نظام هذه العلاقات، وتهتم الدلالة بعلاقات هذه العلامات بحالات الأشياء في اهتمامها بالمعنى في علاقته بالمرجع والمقاصد، فإن التداوليات تمثل الضرورة التي توجه وتضبط استعمال هذه العلامات في المقام.

وبما أن اللسانيات التداولية هي علم استخدام العلامات؛ فإن المفهوم الذي اصطنعه سوسير للسيميولوجيا على أنها دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ينطوي على منظور تداولي، فللعلامات مقامات خصوصية كلما كان هناك ملفوظات؛ فالعلامات تتكون في الأساس نتيجة احتكاكها بالعالم، وحتى تكون قابلة للتوصيل والتبليغ، يجب أن تكون تجلياتها واضحة وصحيحة؛ لأن ذلك يعد شرطا للوصول إلى المعنى، فالعلامة تنتج من اتصالها بالعالم واحتكاكها بالآخر، فالمعنى ينطلق من العلامة التي هي استعمال لشيء ما.

كتاب العين وكتاب الجمهرة

يبدو لكثير من الباحثين أن كتاب الجمهرة هو كتاب العين عينه، معتمدين في ذلك على قول نفطويه في ابن دريد[3]:

[3] لقد كان بين نفطويه وابن دريد منافرة عظيمة وهجا كل منهما الاخر. وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح (السيوطى- المزاهر).

ابـــــن دريـــــد بـــــقـــــرة وفـــــيـــــه عـــــي وشـــــره

ويـــدعـــي مـــن حـــمـــقـــه وضـــع كـــتـــاب الـــجـــمـــهـــرة

وهـــو كـــتـــاب الـــعـــيـــن لـــولا أنـــه قـــد غـــيـــره

وقد حلا لهم القول أن كل ما عمله ابن دريد أنه قد غير ترتيب المعجم فقط، فبينما كان الترتيب الصوتي هو ترتيب كتاب العين، أصبح الترتيب ترتيبًا ألفبائيًا (خاصًا) في كتاب جمهرة اللغة. وهذا في حد ذاته حكم مغالط فيه؛ إذ لا يستقيم الحكم قبل أن نستنطق الكتابين؛ ذلك أن الكتابين قد اتفقا في بعض الأمور واختلفا في أمور أخرى.

فقد اتفق ابن دريد والخليل في العناية باللغات، ولكنه تفوق عليه فيها كثيراً، فهو يذكر لغات من الأزد والأنصار وتميم و ثقيف وحمير وبني حنيفة وخزاعة وطيئ وعبد القيس وقيس وغيرها من القبائل. ومن البحرين والجوف والحجاز والسراة والشام والشحر والعراق والمدينة ومكة ونجد واليمامة واليمن من الأقاليم.

أما الجوانب التي اختلف فيها ابن دريد عن الخليل التنظيم أولاً فقد كان الخليل بن أحمد أحسن تصوراً للمعجم فكان أحسن تقسيماً وتنظيماً؛ إذ سار على نظام الأبواب القائمة على أساس واحد في جميع كتابه؛ هذا الأساس هو الأبنية. أما ابن دريد فراعى هذا الأساس في القسط الأكبر من الكتاب، ثم رأى الرسائل اللغوية فألحقها بها دون أي ترتيب (نصار، 1988: ص335-336). كما خالفه أيضا في عملية الترتيب فبينما استخدم الخليل بن أحمد الترتيب الصوتي استخدم ابن دريد الترتيب الألفبائيّ كما رأينا في الصفحات السابقة.

والسبب الذي جعل ابن دريد يتفق مع الخليل بن أحمد هو احتذاؤه على مثال العلماء واقتداؤه بسبيلهم، أما الأسباب التي دعته يخالف الخليل بن أحمد هي ثقوبة فهم الخليل وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره؛ فعندما وضع الخليل كتابه كان أهل دهره في تلك الفترة في قمة عالية من الذكاء، بينما نلاحظ أن أهل دهر ابن دريد كما يشير في مقدمته كانوا زاهدين في الأدب، متثاقلين عن الطلب (وكان النقصُ في ذلك العصر في الناس فاشيًا والعجزُ شاملاً) (ابن دريد، 1987: ص40).

ومن هذا المنطلق، أراد ابن دريد أن يسهل وعورة كتاب العين ويوطئ شاؤه، فأجراه على الترتيب الألفبائي، لأن هذا الترتيب (في الأسماع أنفذ، وبالقلوب أعبق) (ابن دريد، 1987: ص40).

التداولية والكيان الاجتماعي في المعاجم

ميز سوسير بين اللغة والكلام، فاللغة نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضعات التي يتبناها الكيان الاجتماعي؛ ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة، فالكلام تتعدد أشكاله وتتباين مقوماته، في حين أن اللغة هي كل بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب (ذهبية، 2014: ص153).

واللغة كونها نظام نحويّ معجميّ موجود ضمنيًا في كل العقول والكلام هو المحقق الفعلي لهذا الضمني عندما نخرجه من حيز الكمون إلى الوضوح والحركة (ذهبية، 2005: ص81)؛ فوجود اللغة رهين بوجود الكلام من ناحية الإنجاز، فيمكن للغة أن تعيش؛ لأنّ الكلام يضمن لها الحياة، وكلما كان هناك ملفوظات سيكون للعلامات مقامات خصوصية؛ فالعلامات تتكون في الأساس نتيجة احتكاكها بالعالم (يوسف، 2014: 24)؛ فالسمة الأولى من السمات المحددة لطبيعة

معنى الملفوظات سمة التواصلية، كما أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه في المقام الأول يرتكز على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم (صحراوي، 2005: ص21).

وقد رأينا في سبيل ذلك (بيان حياة الكلمات، وبيان أن الملفوظات في تطور دائم، وأن المعاجم استطاعت أن تلبي الكيان الاجتماعي للإنتاج اللغوي) أن نقارن أعداد الجذور المدونة في المعجمين (العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وجمهرة اللغة لابن دريد)؛ وقد اكتفت هذه الدراسة بمقارنة باب السين في الثنائي، والثلاثي الصحيح، والثلاثي المعتل، واللفيف، معتمدين في هذه المقارنة على ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد استثنينا من هذه المقابلة باب السين من الرباعي و الخماسي؛ وذلك لاضطراب الترتيب في أبواب الخماسي في كتاب العين، وكتاب جمهرة اللغة.

ولتتضح رؤية هذه المقابلة، فقد رأينا أن نفرغ بيانات هذا الباب في جدول عام، ثم نحلل هذا الجدول:

جدول (1): **الجذور المعتمد عليها في الكتابين**

المعجم	الثنائي	الثلاثي الصحيح	الثلاثي المعتل	اللفيف
العين	9	30	9	17
الجمهرة	8	30	9	3

جدول (2): المداخل المثبتة في الكتابين

المعجم	الثنائي	الثلاثي الصحيح	الثلاثي المعتل	اللفيف
العين	16	111	83	17
الجمهرة	14	110	44	3

يتضح من الجداول السابقة عدد الجذور التي اعتمد عليها ابن دريد، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ومع أن كتاب العين يعتمد على تسعة جذور في الثنائي إلا أنه يعتمد على ستة عشر تقليبًا، وكان يفترض[4] به أن يعتمد على ثمانية عشر تقليبًا حسب نظرية التوافيق والتقاليب التي اعتمد عليها في كتابه. ومع أن ابن دريد يعتمد على ثمانية جذور في الثنائي إلا أنه يعتمد على أربعة عشر تقليبًا، وكان يفترض به أن يعتمد على ستة عشر تقليبًا حسب نظرية التقاليب التي اعتمد عليها في كتابه أيضاً.

وهذا يثبت للقارئ أن هناك مداخل قد أهملت فماتت في عصر الخليل، وأن هناك كلمات قد ماتت في عصر ابن دريد، وقد يعتقد قارئ آخر أن الأمر في هذا الجانب منطقي لا محالة، ذلك أن الفرق بين الكتابين في جذر واحد، والفرق بين الكتابين في تقليبين اثنين فقط، وهذا لا يشكل تطورًا معينا، إلا أن تتبع الجذور وتقليباتها يثبت لنا أن الكتابين سجلا تطورًا لفظيًا، وتطورًا دلاليًا، وصوتيًا وصرفيا ونحويًا، وهذا ما يمكن أن نسجله في الجدولين الآتيين:

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي يعتمد في معجمه على المستعمل فقط، ولا ينص على المهمل، وأن ابن دريد يعتمد على الجمهور المستعمل فقط حسب رأيه، ولنا فيه رأي آخر إذ إنه يعتمد في بعض الأحيان على المهمل، وينص على ذلك نصًا في متنه، وإنما اعتمدنا على كلمة يفترض؛ لنبين أن هناك كلمات حسب تقليب الخليل يمكن أن تحيا، وهذا ما بينته المقابلة بين المعجمين.

جدول (3): الثنائي الصحيح

الجذر	العين	الجمهرة	ملاحظات
(س. ط)	طس	طس	اتفاق في التقليبات، واتفاق في التعريف الدلالي، إلا أن العين يثبت تعريفات صرفية.
(س . د)	(سد، دس)	(دس، سد)	اتفاق في التقليبات. يثبت العين تعريفًا دلاليًا، لا يثبته كتاب الجمهرة.
(س. ت)	(ست)	أهمل	يعتمد العين على تقليب واحد، بينما يهمل الجمهرة التقليبين معا.
(س . ر)	(سر ، رس)	(الرس، السر)	يتفقان في التقليبات، إلا أن العين يضيف تعريفات دلالية لا يثبتها صاحب الجمهرة
(س. ل)	(سل، لس)	(سل، لس)	يتفقان في التقليبات، ويتفقان في التعريف الدلالي لمادة لس، إلا أن صاحب العين يضيف تعريفًا دلاليًا لا يثبته صاحب الجمهرة.
(س. ن)	(سن، نس)	(سن، نس)	اتفق الكتابان في التقليبات، إلا أن صاحب العين يضيف تعريفات دلالية لا يثبتها صاحب الجمهرة.
(س. ف)	(سف، فس)	(سف)	يعتمد صاحب العين على التقليبين، إلا أن صاحب الجمهرة يعتمد على تقليب واحد فقط، وبين الكتابين خصوص بعد عموم في تعريفهما.
(س. ب)	(سب، بس)	(بس، سب)	اتفقا في التقليبات، وبين الكتابين خصوص بعد عموم.
(س. م)	(سم، مس)	(السم، المس)	اتفقا في التقليبات، واختلفا في التعريف الدلالي.

فكما نلاحظ من الجدول السابق أن الاختلاف في مداخل الثنائي، وتقارب الكتابين في عدد المداخل لم يكن سببه إهمال ابن دريد لجذر من الجذور، وإنما لأن ابن دريد اعتمد على تقليب واحد فقط في مادة (س. ط)، وهو طس، وهذا ما فعله الخليل بن أحمد الفراهيدي قبله، كما أنه اعتمد على تقليب واحد فقط في مادة (س. ف)، وهو سف، بينما يعتمد الخليل على تقليبين، مما يدلل لنا أن مدخل سطّ، مهمل في عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وفي عهد ابن دريد، كما يدلل لنا أن مدخل فسّ مهمل في عصر ابن دريد في حين أنه مستعمل في عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ولنا أن نتبين ذلك من الثلاثي الصحيح:

جدول (4): جدول الثلاثي الصحيح

الجذر	العين	الجمهرة	الملاحظات
(س.ط.ر)	طرس، سطر، سرط	(طرس،سطر،سرط، رطس	اعتمد الخليل على تقليبات ثلاثة، بينما اعتمد ابن دريد على تقليبات أربعة. وتباين الكتابان في التعريف الدلالي.
(س.ط.ل)	طسل، سطل، سلط، طلس، لطس	سطل، سلط، طلس، طسل، لطس	اتفقا في التقليبات، وفي التعريفات.
(س.ط.ن)	نطس، سنط، سطن	سطن، سنط، نسط، نطس	اعتمد الخليل على تقليبات ثلاثة، بينما يعتمد ابن دريد على تقليبات أربعة، ويضيف ابن دريد إلى مادة سطن تعريفًا دلالياً إلى التعريفات الواردة في كتاب العين.
(س.ط.ف)	فطس، فسط، سفط، طفس	سطف، طفس، فسط، فطس	اعتمد الخليل على تقليبات أربعة، كما اعتمد ابن دريد على تقليبات أربعة، إلا أنهما اختلفا في تقليباتهما، فمادة سفط مهملة عند ابن دريد، في حين أن مادة سطف مهملة عند الخليل بن أحمد. ويضيف ابن دريد إلى تعريفات الخليل تعريفات دلالية في مادة فسط، وفطس.
(س.ط.ب)	بسط، سبط، طبس	بسط، سبط، طبس	اتفقا في التقليبات، واتفقا في التعريف الدلالي.

تابع جدول (4):

الجذر	العين	الجمهرة	الملاحظات
(س.ط.م)	مسط، سطم، طسم، طمس، مطس، سمط	سطم، سمط، طمس، طسم، مسط، مطس	اتفقا في التقليبات، إلا أن ابن دريد يضيف تعريفًا دلالياً إلى تعريفات الخليل، كما يحذف بعض التعريفات، كما ورد في مادة سطم، وسمط، وطسم.
(س.د.ر)	سدر، دسر، سرد، ردس، درس	درس، دسر، ردس، سدر، سرد	اتفقا في التقليبات، كما اتفقا في تعريف مادة دسر،وردس. يضيف ابن دريد إلى تعريفات الخليل، ويحذف بعض التعريفات، كما ورد في مادة سدر، وسرد، ودرس.
(س.د.ل)	سدل، دلس	دلس، سدل، لدس، لسد	اختلفا في التقليبات، فالخليل يعتمد على تقليبين فقط، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليبات أربعة. اتفقا في تقليبين (سدل، دلس). يضيف ابن دريد إلى تعريفات الحليل، ويحذف بعض تعريفات الخليل في المادتين.
(س.د.ن)	سدن، سند، ندس	دنس، سند، ندس	اعتمد كل منهما على تقليبات ثلاثة، اتفقا في تقليبين فقط (سند، ندس). يضيف ابن دريد إلى تعريفات الخليل تعريفات دلالية أخرى، كما يحذف بعض تعريفات الخليل في هذين التقليبين.
(س.د. ف)	سدف، فسد، دسف، سفد	سدف، سفد، فسد	يعتمد صاحب العين على تقليبات أربعة، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليبات ثلاثة. اتفقا في تعريف ثلاثة تقليبات (سدف، وفسد، وسفد).
(س.د.ب)	دبس، سبد	دبس، سبد	اعتمد كل منهما على تقليبين. يضيف ابن دريد إلى تعريفات الخليل بعض التعريفات الدلالية.
(س.د.م)	دسم، دمس، سدم، مسد، سمد	دسم، دمس، سدم، سمد، مدس، مسد	اعتمد العين على خمسة تعريفات، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليبات ستة، اتفقا في (دسم، دمس، سدم، مسد، سمد). يضيف ابن دريد إلى تعريفات الخليل بعض التعريفات، كما يحذف بعض التعريفات في التقليبات الخمسة.
(س.ت .ر)	ستر، ترس	ترس، ستر	اعتمدا على تقليبين فقط. وقد اتفقا في تعريفاتهما الدلالية.
(س.ت. ل)	ستل، سلت	ستل، سلت	اعتمد على تقليبين فقط، ويضيف ابن دريد إلى تعريفات الخليل، ويحذف بعض تعريفات الخليل في المادتين.
(س.ت.ن)	ستن، سنت	سنت، ستن، نتس	اعتمد صاحب العين على تقليبين فقط، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على ثلاثة تقليبات، اتفقا في مادتي (ستن، وسنت). يضيف صاحب الجمهرة في تعريف (ستن) بعض التعريفات الدلالية.
(س.ت.ب)	سبت، بست	سبت	اعتمد صاحب العين على تقليبين، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليب واحد فقط. ويضيف صاحب الجمهرة بعض التعريفات الدلالية على مادة (سبت).
(س.ت.م)	متس، سمت	سمت، متس	اعتمدا على تقليبين فقط، ويضيف ابن دريد إلى تعريفات الخليل بعض التعريفات الدلالية في المادتين.
(س.ر.ل)	رسل، سرل	رسل	اعتمد صاحب العين على تقليبين، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليب واحد فقط. يضيف صاحب الجمهرة تعريفات دلالية إلى تعريفات العين لمادة (رسل).
(س.ر.ن)	رسن، نسر، سنر	رسن، سنر، نرس، نسر	اعتمد صاحب العين على تقليبات ثلاثة، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليبات أربعة. يضيف ابن دريد بعض التعريفات الدلالية، ويحذؤف بعض التعريفات الواردة في كتاب العين، في مادة (رسن، وسنر، ونسر).

تابع جدول (4):

الجذر	العين	الجمهرة	الملاحظات
(س.ر.ف)	سرف، رسف، فرس، رفس، سفر، فسر	رسف، سرف، سفر، فرس، فسر	اعتمد صاحب العين على تقليبات ستة، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليبات خمسة، يتفق صاحب الجمهرة مع كتاب العين في كثير من التعريفات (فرس)، ويضيف إليها حينا (رسف، سفر)، ويحذف جزءا منها حينا آخر (فسر، وسرف).
(س.ر.ب)	سرب، سبر، بسر، برس، رسب، سرب	برس، بسر، ربس، رسب، سرب، سبر	اعتمدا على ستة تقليبات. يتفق صاحب الجمهرة مع كتاب العين في بعض التعريفات (برس، ربس)، ويضيف بعض التعريفات الدلالية الأخرى (سبر، ورسب، ويحذف البعض الاخر في كتاب العين حينا آخر (سرب، وبسر).
(س.ر.م)	رسم، رمس، مسر، مرس، سرم، سمر	رسم، رمس، سمر، سرم، مرس، مسر	اعتمدا على ستة تقليبات. يتفق صاحب الجمهرة مع كتاب العين في بعض التعريفات (رسم، ورمس)، ويضيف بعض التعريفات الأخرى (سمر، سرم)، ويحذف بعض التعريفات الواردة في كتاب العين حينا آخر (مرس، ومسر).
(س.ل.ن)	لسن، نسل	لسن، نسل	اعتمدا على تقليبين فقط، اتفقا على تعريف مادة (لسن). ويضيف صاحب الجمهرة بعض التعريفات إلى مادة نسل.
(س.ل.ف)	سلف، فلس، فسل، سفل	سفل، سلف، فلس، فسل	اعتمدا على تقليبات أربعة فقط، اتفق صاحب الجمهرة مع العين في تعريف مادة (سلف)، ويضيف إلى بقية التقليبات بعض التعريفات، ويحذف من مادة (فلس) تعريفات وردت في كتاب العين.
(س.ل.ب)	سلب، لسب، بلس، لبس، بسل، سبل	بسل، بلس، سبل، سلب، لبس، لسب	اعتمدا على تقليبات ستة. في مادة (سلب) تخصيص بعد عموم، كما أن صاحب الجمهرة يحذف بعض التعريفات الدلالية الواردة في كتاب العين. ويضيف الجمهرة بعض التعريفات الدلالية الواردة في كتاب العين من مادة (سبل)، ويحذف تعريفات أخرى.
(س. ل.م)	سلم، سمل، مسل، ملس، لسم، لمس	سلم، سمل، لمس، مسل، ملس	اعتمد صاحب العين على تقليبات ستة، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليبات خمسة. اتفقا على تعريف مادة (ملس، ولمس). بينما يضيف صاحب الجمهرة بعض التعريفات، ويحذف تعريفات أخرى في بقية المواد.
(س.ن.ف)	سنف، سفن، نسف، نفس	سفن، سنف، نسف، نفس	اعتمدا على تقليبات أربعة. يضيف صاحب الجمهرة إلى تعريفات الخليلي بعض التعريفات الدلالية في المواد الأربعة.
(س.ن.ب)	سنب، نسب، نبس، بسن، بنس	سبن، نبس، نسب	اعتمد صاحب العين على تقليبات خمسة، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليبات ثلاثة. اتفقا في مادة (نبس، ونسب). يضيف صاحب الجمهرة بعض التعريفات ويحذف أخرى مما ورد في كتاب العين في مادة (نسب).
(س.ن.م)	سنم، سمن، نسم، نمس، مسن	سمن، سنم، نسم، نمس	يعتمد صاحب العين على تقليبات خمسة، بينما يعتمد صاحب الجمهرة على تقليبات أربعة. اتفقا على أربع تقليبات، إلا أن صاحب الجمهرة يحذف في مادة (نسم) بعض التعريفات الواردة في كتاب العين.
(س.ب.م)	بسم	بسم	اعتمدا على تقليب واحد فقط. واتفقا في تعريف هذه المادة.

يثبت لنا جدول الثلاثي الصحيح أن التطور اللفظي واضح، فمع أن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن دريد، يتقاربان في أحيان كثيرة في عدد التقليبات، إلا أنهما يختلفان في أحيان أخرى في المداخل التي يعتمد عليها كل منهما في كتابه، من ذلك مثلاً: في جذر (س، د، ن) يعتمد الكتابان على ثلاثة مداخل، إلا أنهما يتفقان فقط في مدخلين هما (سند، ودنس)؛ فالخليل يعتمد على: (سدن، سند، ندس)، بينما يعتمد ابن دريد على: (دنس، سند، ندس).

يؤكد لنا أن اللغة ليست ساكنة، وإنما يعتريها التغيرات في النطق والمفردات، فهناك صيغ آيلة للزوال في الاستخدام مع الصور المستحدثة، مع تفاوت مجالات استعمالها (وايلز، 2014، ص198)، وأن اللسان يؤدي وظيفة تبليغية تتحقق باستعمال الأفراد له في الواقع الاجتماعي لقضاء حاجاتهم والتعبير عن أغراضهم ومقاصدهم؛ فالملفوظ يكتسب معانيه بالقياس إلى مخاطب مزود بمجموعة من الكفايات، فالمعنى ليس معطى، وإنما هو دالة لها دليلان: الدال اللساني، وكفايات المخاطب (سرحان، 2014، ص125).

السياق والدرس التداولي في المعاجم العربية

السياق في الدرس التداولي هو العنصر الفاعل في توضيح الكلام، وفي صحته والوصول به إلى درجة القبول في معناه ومبناه (بشر، 2005، ص367)، وقد دفعت العلاقة الوطيدة بين السياق والتداولية إلى تعريف التداولية بأنها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة (ديكرو، 2007: ص677).

فالسياق يعد جزءًا أصيلًا من التداولية، فما التداولية إلا استعمال الكلمات أو العلاقات ضمن سياق محدد؛ لأن النص غالبًا ما يبنى على جملة من المصاحبات الأدبية، تلفت نظر المتلقي إلى بيئة أدبية ثقافية اجتماعية معينة، لا يمكن فهم النص الأدبي خارجها أو بعيدًا عنها (لوتمان، 1995م: ص156) ؛ فالسياق أكبر من النص، وأسبق منه في الوجود، وأمكن منه في النفوس، ولعل أصدق ما يمثله في هذا الجانب التطور الدلالي؛ فالتطور الدلالي ظاهرة طبيعية، يمكن رصدها بوعي لغوي لحركية النظام اللغوي المرن، إذ تنتقل العلامة اللغوية من مجال دلالي معين إلى مجال دلالي آخر، وهو ما يمكن أن يدرس في مباحث المجاز، وفي حركية اللغة الدائبة قد تتخلف الدلالة الأساسية للكلمة فاسحة مكانها للدلالة السياقية أو لقيمة تعبيرية أو أسلوبية، وبذلك تغدو الكلمة ذات مفهوم أساسي جديد وقد يحدث أن ينزاح هذا المفهوم بدوره ليحل مكانه مفهوم آخر، وهكذا يستمر التطور الدلالي في حركة لا متناهية تتميز بالبطء والخفاء؛ فالتداولية علم الاستعمال اللغوي ضمن السياق، أو طرائق استعمال العلامات ضمن سياق ما؛ فالسياق يمتلك طابعه التداولي لا نعلم حدود بدايته ونهايته، فقد يكون السياق سياقا ظرفيا وجوديا مرجعيا يحدد انتماء المتخاطبين وهواياتهم[5]، وبيئتهم المكانية والزمانية، وقد يكون سياقاً مقامياً تداولياً، وهو ما تفهمه الجماعة المنتمية إلى نفس الثقافة على أنها ممارسة خطابية (أوشان، 2000: ص60).

لقد كان اهتمام علماء الدلالة بمسألة التطور الدلالي، منذ القرن التاسع عشر[6]، حاولوا خلاله تأطير تغير المعنى بقواعد وقوانين، فبحثوا في هذا المجال أسباب تغير الدلالة وأشكاله وصوره، وقد أدركوا أن التطور الدلالي، هو تغيير الألفاظ لمعانيها، ذلك أن الألفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغير في هذه العلاقة، ولا يكون التطور في مفهوم علم الدلالة في اتجاه متصاعد دائماً إنما قد يحدث وأن يضيف المعنى أو يخصص،

[5] للمعرفة المشتركة والأرضية المشتركة أو العلاقات الرابطة بين المتكلم والمتلقي دور في بناء سياق الخطاب؛ لوجود خصائص جامعة في أطراف الحوار أي أحوال إنجاز أفعالهم في السياق الواقعي.

[6] درس العلماء العرب المعنى من حيث وضوحه وغموضه وصحته وعدمه واحتماله وفساده، وما تتحول له دلالة الألفاظ من تحول في المعنى إلى معنى آخر، وأسباب هذا التحول ومظاهره، إلا أن علم اللسانيات الحديث طور نظرياته ووضع أصوله ومعالمه وبين صلته بالعلوم الأخرى.

كما يتسع أو يعمم، فيكون الانتقال من المعنى الضيق أو الخاص إلى المعنى الاتساعي أو العام وقد يحدث العكس، فتغير المحتوى الدلالي لمنطوق ما كفيل بتنوع قوته الإنجازية.

وبما أن المعجم ينحو إلى تسجيل اللغة بكل مستوياتها الاستخدامية، معتمدًا على علم اللغة الوصفي، مستعينًا بعلم اللغة التاريخي، مهتديًا بإرشاد الباحث إلى مقوماتها الصوتية والبنيوية والدلالية، بل النحوية حين يحتاج الأمر إلى النص على حركة بنائها (الحمد، 1991: ص104)، فإنني سأثبت بعض المداخل التي اختلف فيها الكتابان، مدللا على التطور الدلالي الوارد في هذه المداخل، مبينا دور الاستعمال والسياق في تداولية المعاجم.

1- بعض المداخل الواردة في باب السين والراء والفاء معهما:

أ- مادة (س. ر. ف):

ورد في كتاب العين في مادة سرف:

الأسرف، وسَرِفٌ موضعان بالحجاز.

والإسراف نقيض الاقتصاد.

وللحم سَرَفٌ كسَرَفِ الخَمر، وهو الضَّراوةُ.

والمَسْروفةُ من الشّاء: التي تُقْطَعُ أذُنُها أصلاً.

وفي المثل: أَصْنَعُ من سُرْفةٍ، وهي دُوَيْبَّة صغيرة تَنْقُبُ الشَّجَر وتَبني فيه بَيْتًا، وسَرِفَ الشَّجَرُ أي أصابته السُّرفة.

والسَّرِفُ: الجاهِلُ، وقال:

إنَّ امرَءًا سَرِفَ الفُؤادِ يرى عَمَلاً بماء سحابة شَتْمي

والسَّرَفُ: الخَطَأ، يقال: اردْتُكم فسَرِفْتُكُم، قال:

ما في عطائهم من ولا سَرَف.

أي لا يخطئون ويضعونه موضعه.

وورد في كتاب الجمهرة في نفس المادة:

السَّرَفُ: التبذير، أسرف الرجل في ماله إسرافًا، إذا عجِل فيه، وأكل مالَه سَرَفًا. ثم كثر ذلك في كلامهم حتى قالوا: قتل فلانٌ بني فلان فأسرف، إذا جاوز في ذلك المقدار، وتكلم بإسراف، إذا جاوز المقدار أيضًا.

وسَرِفْتُ القومَ، إذا جاوزتهم وأنت لا تعرف مكانهم.

وسَرِفْت الشيء، إذا أُنسيته.

وسَرِف: موضع معروف.

والسُّرْفَة: دويبة تكون في العشب تصلح بيتًا من حطام الشجر، وتنسج عليه نسجًا رقيقًا كنسج العنكبوت، فلذلك قالوا في المثل: " أَصْنَعُ من سُرْفَة".

فنلاحظ أن ابن دريد أهمل في معجمه معنيين وردا في كتاب العين، وهما: الضَّراوة، والشاة التي تقطع أذُنُها أصلاً.

وهذا يقودنا بطبيعة الحال إلى افتراض معين، وهو أن يكون هناك لفظ آخر يقابل هذين المعنيين في جمهرة اللغة.

ب- مادة (ف. س. ر)

ورد في كتاب العين في مادة فسر، قوله:

" الفَسْرُ: التفسير، وهو بيان وتفصيل للكتاب، وفَسَره يفسِره فَسْرًا، وفَسَّرَه تفسيرًا.

والتَّفْسِرةُ: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء، يستدل به على مرض البَدَن، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو التَّفْسِرَةُ" (الفراهيدي، 1988، مادة س.ر.ف).

وورد في كتاب الجمهرة في مادة فسر، قوله:

"والفَسْرُ من قولهم: فَسَرْتُ الحديثَ أفسِره فَسْرًا، إذا بيّنته وأوضحته، وفسرته تفسيرًا كذلك (ابن دريد، 1987، مادة ف.س.ر).

يتبين لنا من هذا المثل أن ابن دريد لم يعتمد على لفظ التفسرة، وهي المدخل الفرعي ضمن مدخل فسر، مما يبين لنا أن هذا المدخل قد مات في عهد ابن دريد أو أنه أهمل في عهد ابن دريد؛ لأن ابن دريد قد اعتمد على المداخل التي شاعت وتداولها الناس في عصره، ومما يدل على ذلك أن ابن دريد قال في مقدمة كتابه: " وإنما أعرناه هذا الاسم لأنّا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشيّ المستنكَر" (ابن دريد، 1987، ص40).

2- بعض المداخل الواردة في باب السين واللام والباء معهما:

أ- مادة (س. ل. ب):

ورد في كتاب العين:

كل لباس على الإنسان سَلَبٌ، وسَلَبَ يَسلُبُ: أخذ سَلَبَه، والسَّلَبُ: ما يُسْلَبُ به، والجميع الأسلاب.

والسَّلوبُ من النوق: التي يؤخذ ولدها، وجمعه سلائب.

وقيل: هي الناقة إذا ألقت ولدها لغير تمام وجمعه سُلُب، وأَسْلَبَتْ: فَعَلَت ذلك، ويقال للشَّاء أَسْلَبَت.

ويقال: السُّلُبُ: الطِّوال، وفَرَسٌ سَلِبُ القوائم وبعير مثله.

والسَّليب: الشجرة أُخِذَت أغصانُها ووَرَقها.

وامرأة مُسَلِّبٌ: سَلَّبَت على زوجها أو غيره أي مُجِدٌ.

وفَرَس سَلْبُ القوائم: خفيف نقلها. ورجل سَلْبُ اليدين بالطعن: خفيفهما.

وثَورٌ سَلْبُ القَرْنِ بالطعْنِ أي خفيفة.

وشَجَر السَّلَب يكون فيه الليف الأبيض، الواحدة سلبة هذلية.

والسَّلَب: ليف المقل وهو المَسَد.

ورد في كتاب الجمهرة:

وسلبت الرجل وغيرَه أسلُبه سَلَبا، وقالوا: سَلْبًا، فهو سَليب ومسلوب. وقال قوم من أهل اللغة: السَّلْب مصدر، والسَّلَب ما يؤخذ من المسلوب.

والسَّلَبَةُ: خيط يُشَدُّ على خَطم البعير دون الخِطام.

والسِّلاب: الثياب السود تلبسها النساء في المأتم. يقال: تَسَلَّبَ النساءُ، إذا فعلن ذلك.

قال الراجز:

في السُّلُب السود وفي الأمساحِ.

والمرأة مُسَلِّبة.

ورجل سَلِب، أي طويل، وكذلك الرمح إذا كان طويلاً.

وناقة سَلُوب، إذا فقدت ولدها بنحر أو بموت. قال: والجمع السلائب.

وأنف فلان في أُسْلوب، إذا كان متكبرًا.

قال الراجز:

يا عجباً للعجب العجيب إن بني قِلابَة القلُّوب

أنوفهم مِلْفَخْرِ في أسلوب وشَعَرُ الأستاهِ بالجَبُوبِ

الجَبوب: وجه الأرض الغليظ.

والأسلوب: الطريق، والجمع أساليب.

ويقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي فنون منه.

نلاحظ في هذه المادة عدة مسائل في التطور الدلالي:

- تخصيص بعد تعميم، فقد ذكر الفراهيدي أن كل لباس على الإنسان سَلَبٌ، بينما يذكر ابن دريد أن السِّلاب: الثياب السود تلبسها النساء في المأتم.

فبعد أن كان اللباس أي لباس هو السَلَب، أصبح اللباس الأسود الملبوس في المآتم فقط، فقد خص ابن دريد هذا اللفظ بلون معين لا يفارقه إلى غيره بعد أن كان الفراهيدي قد أطلقه على العموم.

- ماتت بعض الدلالات المصاحبة للمدخل، من ذلك: ليف المقل، وهو المسد. فقد ورد هذا المعنى مع الخليل بن أحمد الفراهيدي، إلا أن هذه الدلالة قد أهملت عند ابن دريد.
- ظهور دلالات أخرى جديدة لم تكن موجودة في كتاب العين، من ذلك الخيط الذي يشد على خطم البعير دون الخطام. والتكبر.

وفي باب السين والنون والياء، ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي خمسة تقليبات مستعملة لهذا الجذر، مما يدل على أن تقليبًا من التقليبات مهمل؛ فقد ذكر التقليبات الآتية: (س،ن، ب)، و (ن، س، ب)، و (ن، ب، س)، و (ب، س، ن)، و (ب، ن، س)، وأهمل مادة (س، ب، ن). أما صاحب كتاب جمهرة اللغة فقد أورد للجذر تقليبات ثلاثة فقط، مما يدل على أن التقليبات الثلاثة الأخرى مهملة، فقد ذكر التقليبات الآتية: (س،ب،ن)، و (ن، ب، س)، و (ن، س، ب)، والتقليبات التي أهملها: (ب، س، ن) و (ب، ن، س) و (س، ن، ب).

وهذا يدل دلالة واضحة على أن تقليبات جذر هذه الكلمة مرت بتطور معين؛ فقد ماتت كلمات، ودبت الحياة في كلمة أخرى، فقد اشترك ابن دريد مع الخليل بن أحمد الفراهيدي في إيراد بعض الكلمات، فقد اشتركا في الجذرين (ن، ب، س)، و (ن، س، ب)، ولا يشتركان في التقاليب الأربعة الأخرى.

ولا ريب إن إهمال بعض الألفاظ، وعدم تدوينها بين دفتي المعجم كفيل بموتها والقضاء عليها.

وبعد تتبع معاني هذه الكلمات في المعجمين لاحظنا أن تطورًا دلاليًا ظهر على كلمة النسب، فالنيسب عند الفراهيدي الطريق المستدق الواضح، إلا أنه عند ابن دريد الطريق الواضح فقط، فقد سهل على المتلقي أن يطلق لفظ نيسب على كل طريق واضح. يقول ابن دريد:

والنيسب: الطريق الواضح، ويقال لطريق النمل: نيسب.

ويقول الفراهيدي:

والنيسب والنيسبان: الطريق المستدق الواضح، كطريق النمل والحية، وطريق حمر الوحش إلى المورد وهو طريقة واحدة.

فبعد أن كان معنى الكلمة يدل على الخصوصية، أصبح دالاً على العموم. وقد بين لنا السياق اللغوي المعاني التي وصلت إليها اللفظة،

خاتمة

مع أن هذه الورقة اكتفت بنماذج يسيرة من باب واحد فقط، وقد بيَّنت لنا الكلمات التي اعتمد عليها ابن دريد، والكلمات التي اعتمد عليها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهي مع هذا وذاك فإنها تؤكد لنا حقائق مختلفة، أهمها أن الكلمة كائن حيٌّ ينمو ويتطور، بل أنه يموت، والفيصل في هذا التطور هو الاستخدام، وللسياق دور في هذا التطور، فلكل عصر ألفاظه ومعانيه، بما يتفق مع المجتمع والطبقات الاجتماعية فيه، وفي المستويات اللغوية المختلفة العربية الأصيلة الفصيحة، والمعربة والدخيلة والمولدة.

كما أن صانع المعجم له دور كبير في دعم إستراتيجيات الخطاب؛ كونه الأساس الأول لمعلومات استخدام عبارات أو مفردات مواد المعجم ومداخله؛ فالخطاب هو التطبيق العملي لنظرية اللغة، فالمعجم مع أنه قائمة من الكلمات المستخدمة في ظروف التواصل الفعلي إلا أن له بنية تنظيمية تعتمد على تنسيق مواد المعجم، ووضعها في خطاب يضمن للمستخدم سهولة الوصول إلى مراده، مراعيا حاجات المستخدم التواصلية.

المصادر والمراجع

إبرير، بشير جوان (2005م). من لسانيات الجملة إلى علم النص، التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد 14.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (1987م). جمهرة اللغة، دار العلم للملايين.

أوشان، علي آيت (2000م). السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء.

بشر، كمال (2005م)، التفكير اللغوي بين الجديد والقديم، ط1، دار غريب، القاهرة.

الحازمي، عليان محمد (1424هـ). علم الدلالة عند العرب، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج15، العدد 27.

الحمد، علي توفيق (1991م). المعجم التاريخي العربي (مفهومه– وظيفته– محتواه)، المعجم العربي التاريخي، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس (14– 17 نوفمبر 1989م)، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة.

حمود، جمال (2009م). فلسفة اللغة عند لودفيغ فيتغنشتاين، ط1، الدار العربية للعلوم والنشر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص307.

الداودى، زاهر بن مرهون بن خصيف (2019م). العقلية اللغوية لابن دريد الأزدي، كتاب جمهرة اللغة لابن دريد أنموذجاً. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية بجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا. 10(1): 154-140.

الداودى، زاهر بن مرهون بن خصيف (2001). كتاب جمهرة اللغة لابن دريد وأسس النص المعجمي. رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.

ديكرو، أوزولدزا، وشمايفر، جان ماري (2007م). القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

ذهبية، حمو الحاج (2005م). لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للنشر والتوزيع، منشورات مخبر تحليل الخطاب.

ذهبية، حمو الحاج (2014م). من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور، التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة، تنسق حافظ إسماعيل علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم، ط1، دار كنوز، عمّان.

روبول، آن و موشلر، جاك (2003م). التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

زيدان، محمود (1985م). فهمي في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، ص106-107.

سرحان، إدريس (2014). التأويل الدلالي– التداولي للملفوظات وانواع الكفايات المطلوبة في المؤول، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن.

السيوطي، جلال الدين- عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي (1960م) المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرح محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ج1، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة دار التراث، م1، ص93 –94.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر (2004م). إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا.

صحراوي، مسعود (2005م). التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

صحراوي، مسعود (2014م). في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، ط2، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن.

عبد الرحمن، طه (1994م). التواصل والحجاج، سلسلة دروس رقم 10، كلية الآداب بأكادير.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (1408هـ/1988م). كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

لوتمان، يوري (1995). تحليل النص الشعري (بنية القصيدة، ترجمة محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة.

المتوكل، أحمد (1995م). قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي) دار الأمان، الرباط.

نصار، حسين (1408هـ- 1988م). المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، دار مصر للطباعة، القاهرة.

وايلز، كاتي (2014م). معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

يوسف، أحمد (2014م). السيميائية التداولية من البنية إلى السياق، التداوليات وتحليل الخطاب، بحوث محكمة، دار كنوز المعرفة، الأردن.